

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190453

UNIVERSAL
LIBRARY

صديقي رينان !

قصة عصرية

ألف:

حسين سوفي

صديق رينان

عرف رينان في سنة ١٩١٦ مدينته « برسلونه » في اسبانيا
وكنيت أقيم فيها مع أسرتي مدة الحرب العالمية ، قدمناها على أثره في
والدي من مصر في ذلك الحين !...

كننا ، رينان وأنا ، في مدرسة اسمانية ، في فصل واحد ،
ولكن معرفتنا وقتئذ لم تتعد تحية المجاملة اللازمة في الفصل . ولم تتم
بيننا الصداقة الا بعد وقوع حادث مكدر اثناء درس اللغة الألمانية
وأستادها رجل ألماني مولع بالنظام الى حد الشذوذ ، اذ كان ضابطاً
في حرس القيصر ، ولم يكن تدقيقه قاصراً على نظام الفصل فحسب
بل تعداه الى تهجي الكلمات ونطقها فتصادف ان طالباً أراد اثناء
القراءة أن يدقق في نطق كلمة ترضية لأستاده ولكن الأستاذ حمل
عمله على محمل السخرية ، فأمره بالخروج من مقعده وبالوقوف قريباً
من منبره ، فما كان من رينان ومنى الا أن ضحكنا عن غير قصد في
وقت واحد وبصوت عال ، فنالنا منه العقاب نفسه . وبينما نحن

الثلاثة وقوف الى جانب الأستاذ إذ برينان يتبادل الاشارات مع طالب آخر من المقاعد الأولى فلمحه أستاذنا فصفعه على خده فنظرت لرينان وقد وضع كفه على الخد المصفوع وابتسمت فأدركتني أنا كذلك يد الأستاذ الغليظة ! .

ومذ ذلك الحين بدأت صداقتي مع رينان ، فنقلت في اليوم التالي أدواقي الى مقعد خال بجانبه : فأنظر الى التجاذب كيف يبعثه أنه الأمور ! .

كان رينان رجلا صغيراً ، كما يعبر الفرنسيون ، في الثالثة عشرة ، من أسرة فرنسية نبيلة ، يبدو كرم محتده على محياه الدقيق ، ومن مشبته النبيلة وما اشتمل عليه خلقه من تهذيب موروث غير متكاف فيه . . وكان خجولاً ، هادئاً ، الطبع ، قليل الكلام ، ميل الى العزلة مما كان يدعو زملاءه الطلبة الى أن يصفوه بالكبر وهو برىء منه ، إذ كان الصمت والعزلة من طابعه ، ولكن رغم هذه الأقاويل كان رينان موضع تقديرهم واحترامهم ! .

كانت أسرة رينان قد هاجرت باريز منذ سنوات حرصاً على

كرامتها ، أثر ضياع القسم الأكبر من ثروتها في مصاربات مالية ..
غير موفقة !

وكانت هذه الأسرة تتألف من رينان ووالديه ! .
كنا ، رينان وأنا ، على وفاق تام من حيث ميولنا وعاداتنا ،
فقد كان كل منا مولعاً بالسينما وجمع طوابع البريد وكان ذلك غرامنا
الوحيد في أوقات الفراغ ..

أما ميدان الحب فقد كنا نجهل في ذلك الوقت ضروبه ومعاوره
اللهم الا بعض غزوات مضحكة كنا نقوم بها هنا وهناك تقليداً لما
نشاهده في دور السينما !..

وكما كان كل منا يشاطر الآخر مسراته وملاهيه كانت هموم
كل منا موزعة بيننا على السواء ، ولكن هل للطفولة السعيدة
هموم ؟ أليس من المضحك أن يكون من أسباب حزننا في ذلك
الزمن عجز ميزانيتنا الخفيفة عن شراء طابع بريد مكمل لسلسلة في
المجموعة ؟ أو احتجابنا عن دور السينما - أثناء الامتحانات - بينما
تمثل فيها رواية لشارلي العظيم ؟

أما معاملة أستاذ الألمانية الخشن فقد تغيرت بعد ذلك الحادث بل بالعكس صرنا مغمورين بعطفه وسط حسد سائر التلاميذ ، فهل كان لوخر صميره نصيماً في هذا التغيير ؟

ولما قعدنا بعد ذلك مع طلبة الفصل الى حمامات البحر في أول الصيف كانت عناية هذا الأستاذ بنا ، وهو في الوقت نفسه أستاذ التربية البدنية ، عناية كبيرة الى درجة أننا - رينات وأنا - كنا أول من تعلم السباحة من بين التلاميذ !

مضت ثلاث سنوات ونحن على هذه الحال من الغبطة والسرور لاهين لاعبين تملأنا الطمأنينة للحياة ، واثقين بالعزيزة عند ميبتنا كل ليلة من استقبال الصباح في اليوم التالي ..

ولكن كما أن لكل حزن نهاية ، فلكل سرور نهاية ، فقد قدر أن نفترق إذ رأت أسرة رينات أن يسافر الى فرنسا لاتمام دراسته العليا هناك حتى يتيسر له عند إتمامها أن يلتحق بالسلك اتسياسى بواسطة أحد أقاربه - وهو عمه - الذى كان يشغل وقتئذ منصباً كبيراً في وزارة الخارجية ..

سافر رينان الى باريز تاركا إياي في أشد حالات الحزن والألم لأنه كان صورة من شخصي ، تلك التي فطن إليها المصريون القدماء وعبروا عنها بالكاء^(١) ..

وقد بعث الى رينان بخطاب لدى احتيازه الحدود الفرنسية يكرر فيه تحيته ويحدد صداقته ، فأجبتة على الفور بخطاب في مثل هذا المعنى مدفوعاً بحماسة الصبا حتى أن خطابي أدركه في باريز بمجرد وصوله إليها !.

ثم توالت المراسلة بين رينان و بيني ، وكانت متواصلة في أول الأمر حتى اذا حاءت سنة ١٩١٩ التي عدت فيها مع أسرتي الى مصر انقطعت بيننا المراسلة .. فاذا كان للصبا مزايا فمن سيئاته لا شك سرعة النسيان !....

قضيت بعد ذلك ثلاث سنوات في مصر لم أسمع خلالها شيئاً

(١) في الديانة المصرية القديمة تكون الكاء (ك) نسخة طبق الأصل من الشخصية التي تمحركها غير أنها من مادة أقل كثافة.

عن رينان ، إلى أن حانت سنة ١٩٢٣ فسافرتُ فيها إلى باريز لتلقى العلوم القانونية ، فكان طبيعياً وقتئذ أن أفكر في رينان وأن أسرّ لفكرة لقائه رغم جهلى عنوانه أو صعوبة الوصول الى لقائه في مدينة عظيمة مترامية الأطراف كالعاصمة الفرنسية ، ولكن ثقتى كانت كبيرة في الصدفة أم الأعاجيب !...

في أيامى الأولى بباريز لم أفكر في رينان ولا في غيره ولا في الدراسة نفسها إذ كنت مفتوناً بباريز التى سُميت بحق عاصمة العالم لما احتوته من مبان تاريخية رائعة شيدت في زمان ملوكها العظام ، ومتاحف جليالة ، ومتنزهات بديعة ، وضواح فتّانة ، ودور راقية للتمثيل ، وأما كن للهو والسرور قد تعرق فيها أشجان الاسانية كلها .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى زرت فيها باريز ، إذ أن أسرتى أتت بي إليها طفلاً قبل الحرب الكبرى ، فلا أذكر شيئاً بطبيعة الحال عن تلك الرحلة ، إذ لم يكن مرورى بباريز وقتئذ إلا كمرور بضاعة « الترانزيت »^(١) ..

كنت ذات ليلة أسير وحيدا في شارع « الشانزليزه » الفخم
ولا غاية لي الا التخلص من النوم فاذا بأنوار مرقص « الأمباسدور »
الرائع تجذني اليه مسلوب الارادة كما يحذب الأمرأة نور الصباح فاذا
بي اقبال رينان هناك وحدها لوجه بعد تلك الغيبة الطويلة . . كان
رينان جالسا الى مائدة كبيرة تقرب من المكان المعد للرقص في صحن
مرحة لفتني اليها على الفور لدى دخولي ضجيجها المرتفع المتواصل
من ضحك وهتاف ومع ذلك عرفت ناعث هذا المرح عند ما شاهدت
زجاجات الشمبانيا المعثرة هنا وهناك على المائدة فالخر وان كان
ينسب المرء اليها بعض نزواته وسقطاته فهي أيضاً عون الصديق في
التخلص من تكاليف المجتمع . . بل والحياة ! . . . وكانت صحن رينان
هذه مكوّنة من سيدتين مناقتين من محترفات الرقص بذلك المكان،
احدهن في منتصف العمر والاخرى في خريف الشباب ، وأربعة
فتيان في ريعان الصبا منهم رينان يلبسون لباس السهرة الفراء
لسا ينطوى على كثير من سلامة الذوق . .

عرفت رينان حالا اذ لم يتغير شكله قط سوى ان جسمه قد
استطال قليلا ، ولم أكد أمد اليه يدي حتى ضمّني الى صدره ثم

أجلسني بجانبه وقدمني الى صحبه وناولني كأساً من الشمپانيا في حماس
من اختلط بدمه ذلك السائل المهرج وقال :

أنت تريد لاشك أن توحه إلى استجوابا طويلا أليس كذلك ؟
أرجئه للغد ! پروزيت (١) ! ثم أفرغ كأسه في فمه دفعة واحدة ! أعد
ذلك سحب احدى السيدتين من يدها وتوحه بها الى حلبة الرقص
وجعل يراقصها كالمعتوه عبداً لحواسه تحرّكه كما تشاء ..

وكانت موسيقى «الجاز» المجنونة تزيد هياح الراقصين بأوامر
الصاحبة المولولة .

واستمرت الحفلة بين اللهو والسرور ، وكلما أمعن الليل كثير الأعط
وازداد حماس الراقصين الى ان تحول رقصهم الى هوان هوان تنبعث
منها رائحة الأجسام المعطرة ..

وحوالى الساعة الثانية صباحا أحسست تعب من الصوصاء التي
تحوطني فانسللت من المرقص بعد ان حصلت على عنوان رينان من
أحد رفاقه حتى استطيع أن ازوره واتحدث اليه في ظرف أحسن

مناسبة .. مما كنا فيه ! .. كنت أفكر بطبيعة الحال وأنا في طريقي الى الفندق ، في تلك المصادفة العجيبة ! ولقد أدهشني تغير خلق رينان اذ عهدى به مذ كنا في « برشلونه » هادئا وديعا لذلك شككت في ان مرح رينان المنال فيه ، كان في تلك الليلة . راحا مصطنعا وانه حتما يخفي وراء هذا السرور المائيسا كما هي العادة في مثل هذه المواقف التي كثيرا ما شهدناها ونشاهدها على الشاشة البيضاء ..

في اليوم التالي توجهت الى حي « موبارناس » حيث يقيم رينان في احدى العمارات المشيدة حديثا ، ذلك الحي الذي ازدحم في السنوات الأخيرة وحل محل حي « مونمارتر » في امارة الليل .. مسكن رينان في الدور الثاني وهو عبارة عن شقة صغيرة جميلة على الطراز الحديث ، صحية البناء ، تكفل دخول الشمس بمقدار وافر كلما طلعت الشمس كذلك كان الأثاث من الطراز الحديث فتشاهد هنا وهناك مقاعد مريحة بسيطة الزخرف ، مصنوعة من النيكل حتى يُخيل اليك ان الدار عيادة طبيب ! .

وكنت ترى الجدران تزيينها بعض الصور الحديثة التي يتعذر تمييزها لاهام راسمها ! .

وتدخل طائفة غير منظمة من المثلثات والمربعات بعضها في بعض ، فكانت حبال لوحات هيروغليفية ! .

كان رينان لا يزال يعط في نومه مع ان الساعة قد جاوزت الثالثة بعد الظهر ، أما حجرة النوم فكانت مشوشة النظام فكنت ترى ثياب السهرة مبعثرة في جنبات الحجرة الأربع ، كذلك تشاهد زجاجة من الشبابة ملقاة على السط ، وقد حمال رينان رأسه بين الحداث حتى لا يزعج نومه ، المهار المتسرب الى الحجرة من النافذة ..

بدأ رينان يعتذر عن سلوكه ليلة أمس في المرقص وكان يبدو عليه الحجل مما كان عليه في تلك الليلة ! ثم قال ليستر حيرته : ألا ترى اني تعرت كثيراً ؟ أليس كذلك ؟ أتذكر الأيام السعيدة التي قضيناها في « برشلونة » ؟ أتذكر « قلندررا » ^(١) حيث كنا نطارد في غاباتها الجميلة . الفراش المسكين ، ولم يكن له من ذنب سوى حسن منظره ؟

فأجبت : نعم ان برشلونة في ذكراى أبدا ، تلك المدينة التي

(١) احدى ضواحي برشلونة .

أطلقوا عليها بحق « لؤلؤة البحر الأبيض » كما انى أتمثل ذكريات الطفولة التى لا تمحى ، بل هى غدير صاف نروى به جفاف حياتنا المادية . . وقد علمتُ فيما بعد أن والديه توفيا ، وكذلك عمه الموظف بالخارجية ، وقد خلف لرينان ثروة لا بأس بها . اذ لم يكن له وارث غيره ، وعرفت ان رينان درس العلوم السياسية ولكنه أهملها فى الأشهر الأخيرة كما أهمل سائر شؤونه من جرّاء حب تسلّط عليه « فكنت اذن مصيباً عندما ساورنى الشك فى مرحة ليلة المرقص ! ، أما قصة غرامه فأتى أترك رينان يتحدثنا عن نفسه ، قال :

قل أن يؤول الى ميراث عمى لم تكن اقامتى فى هذا المسكن الفخم بل بالعكس كنت أسكن فى شارع ضيق فى الحى « اللاتينى » عند امرأة عجوز . وكانت حجرتى صغيرة مظلمة ، فكنت كلما تأملتها أو نظرت من خلال نافذتها ونحن فى فصل الشتاء أرى سماء باريز مكفهرة عابسة فأشعر بالوحدة وأحن اليكم . ، والى شمس اسبانيا المشرقة ، والى سمائها ذات الصفاء الشرقى . .

ومع ذلك كنت أقضى معظم أوقاتي فى تلك الحجرة عاكفاً على

الدرس والمطالعة ، اذ لم تكن حالى السادية تبيح لى حياة المرح
والسرور . كما أن ما طُبعت عليه نفسى من هدوء وورزاة ، يزيدهما
فراق الأهل كآبة كان سبباً فى بعد زملائى الطلبة عنى ونفرتهم من
صحبتى الحريئة الكثيبة . ولكن هذه الحال لم تدم طويلا فقد
بعثت الى العماية بعد بضعة أسابيع من اقامتى فى هذا المسكن ،
شعاعاً من الأمل والحياة فى صورة فتاة جميلة قدمت فاستأجرت
حجرة بفندقنا !

كانت فتاة فى العشرين من عمرها شقراء ، ذهبية الشعر ، زرقاء
العينين ممشوقة القوام ذات ثغر عقيقى قد خلق للتقويل أو هى صورة
ثانية للفتيات الحسان اللواتى وصفهن « جريم ^(١) » فى كتابه عن
خرافات نهر الرين ! ، وكنا نلتذ بقراءة هذا الوصف فى فصل
اللغة الألمانية ! . .

وقد قدمتنى إليها ليلة وصولها السيدة العجوز صاحبة الفندق
أثناء العشاء فعرفت أنها قادمة من « شامبرى » « بالسفوى العليا »

لتعمل في محل خياطة شهير ساريز لأن الرزق ضيق في بلاد الريف
كما تزعم - بينما أفق الأمل هنا في العاصمة متسع .

ولقد أحببت ديزير - وهو اسم الفتاة - منذ تلك الليلة ، فان
لنظرتها جاذبية عربية ، فهي في ذلك مثل الثعبان الهندي الذي
يجذب إليه الحمل بمجرد النظرة اليه كما يقولون ، وكنت قد حجزت
بالصدفة في ذلك المساء محلين مسرح « ساره برنار » حيث كانت
المثله البارعة مدام سيمون تقوم بدور السير الصغير ، وكانت التذكرة
الأخرى لصديق لي ، فعرضت على ديزير الذهاب معي بدلا عنه
فرفضت في نأدي ، الأمر ثم عادت فقبلت إراء الخاخي عليها ، فذهبتنا
إلى المسرح بعد ما تركت لذلك الصديق كلمة اعتذار عن هذه الفعلة ! .
كم كنت سعيداً تلك الليلة لمرافقتي ديزير ! فكنت تارة أتقدمها
في السير وطوراً أسير بجوارها وعينى تحمقان في ذلك الوجه الفتان
كما يحملق الطفل في قطعة من الحلوى ..

وفي اليوم الثاني توجهت ديزير الى عملها وكنت أرافقها اليه
كل صباح ، ثم أذهب بعد ذلك إلى الجامعة فأحضر دروساً لا أعي

شيئاً منها إذ كانت عقلي بعيداً عني يرافق تلك الفتاة في حركاتها
وسكناتها ، فاذا ما جاء موعد انصرافها انتظرتها أمام محل عملها ،
وكانت دنيّر تسرّ من ذلك لأن أكثر رفيقاتها في العمل لهنّ أصدقاء
ينتظرونهن لدى الباب لحظة خروجهن

مضى شهر لم أفارق فيه يوماً دنيّر ، ولقد بذلتُ لها ما في طاقتي
من عناية حتى لا تميل " صحتي ، فكنتُ أذهب بها يوماً الى المسرح
ويوماً الى السينما وآخر الى المرقص ، وكانت دنيّر محبة الرقص إلى
درجة عظيمة .

وقد ساعدني على تحمل النفقات المستجدة في ميزانيتي ما أدرته
في الأيام الأولى من مجيئي إلى باريس ، وقد ذكرت لك اني كنت
قليل الخروج ، أقضى الساعات بالفندق بين الكتب والمطالعة .

أما دنيّر فقد أخذت تميل إلى " بتوالى الأيام وتود الخروج معي ،
وكان يداخني السرور حين تقول لي في قطار « المترو » لدى عودتنا
إلى الفندق : إلى أين نذهب في هذا المساء أيها الصديق العزيز ؟
• ولم يعد قط يضايقني الشتاء بسماهه العابسة ، فان قلبي كان هائماً

في ربيع خالد !

أما الدراسة فقد بدأت أهملها منذ ذلك الحين رغم عتاب ديزر ..
 كما أن السيدة صاحبة الفندق كانت تصيح بي في حنان كلما رأتني
 منفرداً : انك تهمل عمالك أيها الشاب ، بالله ألا ذا كرت دروسك ؟
 وما ألدّ تلك اللحظة التي قبلتُ فيها ديزر للمرة الأولى ، فلقد
 أحسست برأسي يدور كأنه تحت تأثير البنج ! . . . وقع ذلك لدى
 انصرافنا ذات ليلة من المرقص ، وكانت الحجرة قد لعبت برأسينا
 قليلاً . ومع هذا لم يكن ما فعلته قصداً بل وقع بلا وعي مني . .
 فقد قالت لي ونحن على باب المرقص : تأمل في جيدي يا رينان هل
 تجد به جرحاً ، أظن أنني جرحت لدى وضعي القبعة ؟ فلم أدر وقتئذ
 كيف قبلتها . . أما ديزر فصحكت ولم تقل شيئاً . . ثم تكررت
 مني تلك الرياضة الشهية في عدة مناسبات ، ولكن كنتُ ألاحظ
 أن ديزر لم تكن تتقبل قبلاقي بارتياح فكففتُ عن تقبيلها
 وأنا آسف !

لاحظتُ بعد ذلك تغيراً في شعور ديزر نحوي وكلفة وبروداً
 في المعاملة ، ثم جعلتُ تخلق الأعذار للتخلف عن مرافقتي ، فاضطربتُ

وقتئذ وأظلمت الدنيا في عينيّ وخشيتُ من تعلّقها بشخص آخر ولكن من حسن حظي لم يلق هذا الرأي قبولا لدى نفسي المعذّبة ، اذ راقبتُ ديزر مراراً في حروجها ويا للحجل ! مدفوعا بشيطان الغيرة ، فلم أجد لها صلة بأحد . .

إذن لا بد أن يكون تغير ديزر ناشئاً عن أنها فتاة جد تريد أن تكون علاقتنا ببعضنا شرعية ؟

ولكن هل كان في استطاعتي الاقتران منها وقتئذ وأنا فقير وأهلى فقراء كذلك ؟ ولم أتم بعد دراستي حتى أستطيع أن أجد عملاً ، كلانا يرتزق منه ؟

وبنما كنتُ ذات ليلة في حجريّ بعد تناول طعام العشاء أمكّر في ذلك ، إذ بديزر تدخل عليّ في جدّ واضطراب وتقول : أتأذن لي في محادثتك يا رينان ؟ فأجبتها : طبعاً . . . تفضلي . . . إجلسي . . . وم خفق قلبي وقتئذ اذ علمتُ أن مصيري معلق على تلك المقابلة الرهيبة ! .

قالت ديزر : إني آسفة من أجلك يا رينان فانك تحبني ولكن

قلبي غير طليق اذ أنى أحب رجلا آخر فى السقوى ، وكنتُ وددت
أن أقول لك ذلك قبل بدء تعلّقك بى ولكنى تردّدتُ دائماً خشية
أن أدخل عليك الحزن ، فسامحنى يارينان !

يا لعجب الحياة ! كيف قدّر أن تهدم الكلمة الواحدة هيكلًا
بشرىا ؟ فلقد أحسست تتحطم كيانى دفعة واحدة لدى سماعى هذا
التصريح ! ثم استمرت قائلة : ولكن ذلك لا يمنع من أن نبى
أصدقاء كما كنّا فى البداية ، أليس كذلك ؟ ...

فأجبتها بخشونة : ولماذا تركت حبسك فى السقوى ؟

قالت : لا تعصب يارينان ، سأقص عليك الخبر يوما آخر
تكون فيه أقلّ احتياحا ثم تركتني وغادرت الحجره

مسكينة دينرأهمـا كانت تتألم من أجل فلقد قرأت ذلك فى
هينها فى تلك الساعة ، ولكن ماذا تفعل الفتاة وهى أسيرة الحب ؟
أدركتُ فى تلك الليلة سبب ما كان يعترىها فى بعض الأوقات
من الحزن والألم فى رحلاتنا ونزهاتنا الماضية ! ..

لم ينقض زمن طويل على هذا الحادث حتى سمكن اضطرابى

وهدأت أعصابي وذلك لأنني لم أعد أرى دينير إذ انتقلتُ إلى فندق آخر ، كما عكفتُ على الدراسة فكانت بلسمًا طيبًا لحروحي وأشجاني .
 في هذا الوقت آل إلى ميراث عمي ، فانتظرت الى أن أدتُ
 لامتحاناتي ثم سافرت إلى إيطاليا ترويحًا للنفس والبال ، وكنتُ
 تواقًا منذ الصغر إلى مشاهدة آثارها الفخمة ، فذهبتُ إلى تلك
 المدن الجليلة : روما ، نابولي ، فيرنزي ، فينسيا .. وغيرها ..

وكنتُ أشعر براحة نفسية في كثرة التنقل الذي شغلني عن
 التفكير في أمر دينير .

لذلك لم أدع موقعا أثريا كبير الشأن أو صغيره إلا ذهبتُ
 لمشاهدته ، وكنتُ أطوف تلك الديار كأنني اليهودي التائه !
 ولقد أخطأتُ في ذهابي إلى إيطاليا وجرحي حديث الالتئام ،
 إذ هي بلاد الحب والشعر والجمال ..

كنتُ في فينسيا ذات ليلة قمرية بديعة أتتره في أحد زوارقها
 الأثرية اللطيفة ، وكان ربانها يغني الأناشيد الايطالية الغرامية
 الشجية بصوت عذب ، وفي ذلك الوقت نفسه مرّ بنا زورق يحمل

عاشقين متعاقبين فما وقع نظري عليهما حتى تذكرت الماضي القريب ،
مكنتُ أحنّ ألما ، ففقلت عائدا الى الفندق ، وفي صباح اليوم التالي
جمعتُ أمتعتي وعدتُ إلى باريز ! ..

استأحرتُ لدى عودتي من إيطاليا هذا المسكن ، ثم صممت
على استئناف دراستي التي هجرتها طويلا حتى انتهى من السنة
الباقية لي من مقرر العلوم السياسية ..
وكننتُ في ذلك الوقت المثل الأعلى للطالب المجتهد .. ولكن
من سوء الحظ لم يدعني زملائي الطلبة وتأنى كما فعلوا بي في المرة
الأولى ! بل جعلوا يتودّدون إليّ إذ علموا بالميراث ، واليسر المادي
الذي أصبح فيه ! ..

فصاروا يخلعون عليّ من الصفات الطيبة ما أحلها في نفسي ،
ويبحثون بالسكرسكوب في خاقي عما هم يهتدون منه إلى ميراث
جديدة أنصف بها ! وكلما ذكرُ اسمي في أحد منتديات الحي سمعتُ
من يقول عنى : أنه شاب ظريف ! وذلك لأن هذا الشاب الطريف

ينقلب لهم في وقت الضرورة إلى بنك سلفة ، وقد صارت سيارته تحت أمر إخوانه ، وزحاجة الوسكى مساحة لهم في كل ساعة من النهار ! ولكن من جهة أخرى فإن صحة هؤلاء القتبة أنستني أشجاني لما كانت عليه مجالسهم ومجتمعاتهم من الضحك والجلبة والصوصاء .. وبدأت أنسى حقيقة مأساتي ، إذ تمرّ عليّ أيام دون أن أفكّر في دينر ، وإذا تذكرتها لم تؤلني ذكراها كما كان شأنى من قبل !

* * *

انقضى شهران على هذه الحال . . . ففي ذاب يوم دافئ من أيام الشتاء الداردة ، كانت الشمس فيه كالأم الحنون ، وقد احتضنت ابتها الأرض ، كنت أنزّه على الضفة اليسرى من السين من جهة ميدان القديس ميشيل حيث توجد تلك المكاتب الصغيرة اللطيفة الممتلئة ببيع الكتب القديمة أو الكتب المستعملة ، فأخذت أقلب النظر فيها لعلّي أعثر بينها على مفرقيم نادر . . . وبينما أنا مشغول بذلك سمعت ضجة أمام إحدى تلك المكاتب ، لا تبعد كثيراً عني ! فتوجّهت إلى حيث كانت الجلبة ، وقد تجمع على

المعور في ذلك المكان جمهور متطلع فصولي مثلي ، لم أدر من أين أتى ! فإذا الأمر شجار قائم بين أحد الباعة ومتفرج ثقب لم يكف مشاهدة السكت المعروض بل أخرج مديته من جيبه وجعل يقطع صحائف كتاب جديد وذلك على سبيل المعاينة !

بعد ذلك أردت أن أنصرف فجعلت أشق لنفسي طر بقا بين ذلك الجمع فإذا بدني زأماى ! فابتسمت دنيز ثم مدت لى يدها وقبلتها بحرارة واشتياق . وكأنها الحبل الذى يمد الى الغريق لا تقاذه ، وقد شعرت باضطراب شديد فى تلك اللحظة كأنه زلزال قد اهتز له قلبى وأعصابى ، فكم كنت غافلاً حين توهمت أن نفسى شفيت من دنيز ومن هواها ! سعدنا بعد ذلك شارع القديس ميشيل دون أن يوجه أحدا سؤالاً الى الآخر ، ثم جاء دور الأسئلة التافهة التى تقال فى مثل هذه الظروف الحرجة ؛ فاستفهمت هى عما وصلت اليه دراستى ، كما سألتها أنا عن بحثها وصحة السيدة صاحبة الفندق ، وعما اذا كانت لا تزال تعمل فى محل الحياطة ؟ ولما بلغنا حديقة اللكسمبور^(١) توقفت دنيز عن المسير لحظة وقالت : هل لك

(١) قصر اللكسمبور مقر مجلس الشيوخ الفرنسى وحديقه العام متره عمومى للباربين .

فى جولة فى ذلك المتنزه البديع حتى ننتفع من حرارة الجو ونغم ذلك اليوم بسمائه الصافية ؟ فوافقتُ بطبيعة الحال على هذه الرغبة ، وهل كنتُ أستطيع مخالفة دينر التى لو طلبتُ إلى مرافقتها الى أعماق « الستيكس »^(١) لفعلتُ ذلك طائعا مسرورا ! وبعد أن تنزهنا قليلا فى طرقات ذلك القصر العجيب ، جلسنا على مقعد من الرخام فى منتصف الحديقة بالقرب من النافورة لشاهد الأطفال وهم يسيترون فيها سفنا ومراكب شراعية يؤجرها اليهم عامل مقابل أجر زهيد ، كم كنتُ أحسد فى قرارة نفسى هؤلاء الصغار من أحل رنة صوتهم الطاهرة ومسحكتهم البريئة ! حقا ما أسعد هؤلاء الصغار الذين لم يعرفوا بعد ما قد حبب لهم القدر ! . . .

قالت دينر : لقد تعذبت كثيرا ، أليس كذلك يا رينان ؟ ولكنى أنا أيضا تعذبتُ من صاحبي ! فكأن القدر ثار لك منى .. أعلم أن ذلك الرجل الذى لاصير له هجرنى واقترن بفتاة مثرية ! .. قلت مغصبا : يا للشقى !

وكم أحسستُ في تلك الساعة محقد لذلك الرجل البربرى الذى
يسبب شقاء وتعاسة لفتاة طاهرة مثل ديز ! كما أنقضتُ المال الذى
أضحي منبعاً للآلام الشرية ومع ذلك يجرى وراءه الجميع !
ثم قلتُ مستمراً : وكيف علمتُ ذلك ، هل عدتُ الى
« السفوى » ؟

فالت : نعم فقد كانت عادته أن يرسل إلى فى كل أسبوع خطابا
فانقطعت ذات يوم خطائاته ، ثم صار الريد يحوّل إلى رسائلى لتغيير
عنوان المرسل إليه ، وجهله عنوانه الجديد ، فأوجستُ ريبة وقتئذ
وسافرتُ توّأ إلى « شامرى » ويا ليتنى لم أفعل ! فقد علمتُ هنالك
الحقيقة المرة من بعض الأصدقاء . . علمتُ أن الرجل قد رحل عن
المدينة لاتزوج فى الجنوب من بنت أحد كبار رجال الصناعة . .
وسكتتُ هنيهة ثم قالت : رينان أتريدنى ؟ فعقلت الدهشة

لسانى إذ بوغت بسؤالها فى تلك اللحظة ويا لهول هذا السؤال !
قالت ديز فى حزن : قل لك نسيتهى ، أليس كذلك ؟ فأجبتها
أنساك يا ديز ، ما ذا تقولين ؟ انى أعبدك ! ثم احتضنتها بين ذراعى

دون أن أبالي بالمارة الدين وقفوا ينظرون إلينا ضاحكين مبتهجين ..
ثم قلت لها : ولكن أخشى أن يكون جرحك لم يلتئم بعد ؟
فقلت في انفعال : كلا ! كلا ! اننى نسيتُ ذلك الشقيّ ! ...

بعد ثلاثة أيام سافرنا - ديزر وأنا - الى « فنيسيا » بناء على
رغبتها ، اذ أرادت أن تشاهد تلك المدينة الساحرة ذات الشوارع
العائمة والجسور المرمرية المقوّسة التى طالما تفنى بجبالها الكتاب والشعراء
من مختلف الأمم ..

وقد صادفت هذه الرغبة من نفسى ارتياحا إذ كنت أريد أن
تشاهدنى « فنيسيا » مقتبضا مسرورا فى هذه المرة ، محتضنا الى
صدرى ديزر كذينك العاشقين الذين كانا سببا فى هربى منها .
دقة بدقة !!

ولما بلغنا محطة « مستر » التى تبعد عن فنيسيا عشرين دقيقة
تقريبا ، هدأت سرعة القطار اذ أخذ يمشى وسط الماء ، فلما رأته
فلك ديزر جعلت تعصفق طربا وحينما بلغنا المدينة واستقلنا أحد



الزوارق التي تنتظر الركاب لدى المحطة ، كان سرور دينز واعجابها
بالمدينة العائمة بالغين النهاية . .

أما أنا فكنت سعيدا حقا لدى رؤيتي معبودتي دينز جزلة
مسرورة . .

وكم أشفقت وقتئذ في نفسي على أولئك العلاسفة المتشائمين الذين
يزعمون أن الدنيا حقيرة لا تستحق الحياة من أجلها ، فقد كان منظر
دينز فرحة أمامي في تلك اللحظة كالطفلة البريئة . . رائعا لا يقدر ! . .

وقد نزلنا في فندق « دايلي » الفنّي القديم ذي الأرض المموجة
الذي كان مسرحا ذات يوم لغراميات « دي موسيه^(١) » و « جورج^(٢) »
ساند « المحبين العبقريين . .

وكان الفندق في ذلك العام غاصا بأبناء العالم الجديد الذين كان
التناقض بيننا بينهم وبين ذلك الفندق المظلم العتيق ، بسيماهم الفتية
وثيابهم الزاهية الملونة . .

وأظن أن هؤلاء الأمريكيين لا يشعرون بما في « فنيسيا » من

(١) شاعر فرنسي رقيق ١٨٦٧ - ١٨٠٤

(٢) كاتبة فرنسية كيرة ١٨٥٧ - ١٨١٠

حياة شعرية خيالية بل يأتون اليها مقلدين ، فقد تعرفتُ بأحدهم ذات يوم في الفندق وكان مملاً فسألته عن رأيه في المدينة فضحك وقال : يجب عليّ أن أقول لك أنها مدينة أثرية جميلة ، كما قلتُ في رسائلي لأصدقائي في أمريكا ، ولكني في الواقع غير معجب « بثبسيا » وهي غير صحيحة بمبناها الرائدة الاسنة ؛ ولو وجدت عندنا في أمريكا لسنفها ادارة الصحة نسفاً . وكنا نقضي نهارنا في مشاهدة الآثار الجمّة في المدينة ، ولا يزال معطما على حاله الأول ، كأن الدهر غفل عنها فلم يمسه بسوء . .

أعجبت دينز كثيراً بكنيسة « القديس مرقس » ذات الطراز « البيزنطى » العجيب ، وبما فيها من العمدان المرمية المتعددة ، والفسيفساء المتنوع الجميل . . .

وأدهش دينز كذلك قصر الدوق - مقرّ حكّام ثنيسيا المخم في وقت عظمتها وسيادتها على « الأدرياتيك » ، وقد حُلّيت سقوف القصر الفخم بصور جميلة من صنع « فرونس » المبدع وهي مناظر رائعة تمثل مجد « ثنيسيا » القديم . .

وسرّت دنيز أيضاً بما شاهدته في متحف «الأكادمية» الجليل
من صور زيتية دقيقة أبدعها «چيوفانى بآينى» العبقريّ و«نيتان»
العظيم ..

كذلك راقبت ديزر تلك القناطر المرمية ذات الطرار «الفوطى»
زخارفها الدقيقة «كالدانتلّه»، وما أكثر هذه القناطر في «فنيسيا»!..
ثم شاهدنا مصانع الزجاج الشهيرة في «موراو» حيث تمكن
الصانع الايطالى بالنار أن يخرج العجائب الفنية ..
وقد اشترت ديزر لمنزلنا في باريز تحفًا كثيرة دقيقة الصنع ،
كلها من الزجاج ..

أما ليالينا فكنا نقضيها في المرقص بالفندق حيث كانت ديزر
لحسنها ورشاقتها موضع إعجاب الزلاء واهتمامهم ..
وكنّا في بعض الأحيان تنزّه ليلاً في الزورق على مياه
«اللاجونا»^(١) الساكنة يحدونا صوت المجدف الشجى .. حيث
كل شيء حيالنا يدعو الى النشوة والحب : ضوء القمر ، وسكون

(١) بحر غير عميق كثير الجزرات وعليها تقوم فنيسيا ..

الليل وروعته ، وماضى تلك القصور التى تحوطنا والتى طالما انغمس
أهلها فى الحب والملاذات ..

قصينا أسبوعين فى «فنيسيا» فى سعادة كاملة ، تتجدد كل
يوم مسراتنا وملاهيها كأننا حاضعين «لنظام من افناء» على حد
عبير الكاتب الألمانى الكبير توماس مان .



سافرنا بعد ذلك الى فيرنزى على . تن الطائرة لأن دنير قد
شاءت محاكاة سيدات الطبقة العليا الحديثات الى أبعد مدى ، اللواتى
شاهدتهن مراراً فى السينما لا يستقلن مطية غير ننت الريح فى روحتهن
وغدواتهن

كانت رحلتنا الجوية هنيئة جداً ، كما كانت تسليتنا رؤية
الناس والمماشية والمنازل والأنهر مصفرة من الطائرة حتى خيل إلينا
أننا شاهد أقزام « جليفر »^(١) ..

(١) بطل قصة للكاتب الانكليزى الشير سويفت ، وقد ذكر فى هذه القصة أن
جليفر وصل الى مدينة يبلغ طول الساكن بها ستة أقدام الخ ..

وكان نهر الپياقي وواديه الشهيرين يبدوان لناظرنا شيئين
حقيرين مع أنهما قد كانا في الحرب الكبرى مسرحا لوقائع عظيمة
اشتبكت فيها مئات الألوف من الجند . . وقد كنتُ أخشى أن
يصيب دنبر دوار في هذه الرحلة ، ولكن عندما بلغنا فيرنزى
واستفهم منها عن محتها صاحبت بي قائلة : ان هذا البديع ! كان
يُحْيِل إلى أنتى في (المونثاني^(١) روس) ! . .

بقينا في فيرنزى بضعة أيام ونحن سعداء تحت قبة زرقاء
صافية ، وفي جوّ عليل تنتقل بين آثار تلك المدينة العظيمة التي
ازدهرت فنونها وآدائها في زمان كانت فيه أوروبا تتخط في دياجير
الجهل والوحشية . .

وانه ليكنفي فيرنزى شرفا أنها أنجبت للعالم فتانين عباقرة أمثال
« ميكل أنج » ، و « لوناردى فنش » ، و « دانت » شاعر الانسانية
الكبير . . ومن يزر قصورها الفخمة مثل « الپلاسيو فكيو » ،
« الپلاسيو ستروسي » الخ . . يشاهد هناك أروع النفائس الفنية في

(١) من ملاهى اللونابارك ، وهو عبارة عن مركبة تسير بسرعة عظيمة على
قضبان من حديد في طرق موجة تارة مرتفعة وطورا منخفضة .

العالم . . تلك القصور التي ليست في حاجة إلى دليل لى مشاهدتها
 إذ أن المرء يصل إلى إدراك تاريخها بمجرد دوحى شعورد وخياله — كما
 تقول مدام دى ستيل^(١) -- وذلك لما يحوطه فيها من روعة وفخمة . . .
 وقد حافظت فيرنزى كذلك على سكانها الأول اللطيف بطرقاتها
 الصيقة المطلمة المعوجة . . وما أجمل حدائق فيرنزى الغناء القائمة
 على نهر الأرنو ، تلك المدينة التي سُميت بحق مدينة الأزهار ، فقد
 كنا في أوائل شهر أبريل ومع ذلك كانت أهدبها وحقوقها زاهرة
 زاهية كأن لمستها عصا الربيع الساحرة . .

ولكننا تعبنا في الهياه دنيز وأنا — من كثرة ما شاهدنا من
 الآثار في تلك المدينة الجليلة مقفلا عائدین إلى باريز .

وكننت عرضت على دیر الذهاب الى روما — حاصرة
 الفياصرة والبابوية — وهى لا تبعد كثيرا عن فيرنزى ، ولكنها
 أبت قائلة :

كفانا معاشرة الموتى والأشباح ، لنعد إلى مدينة النور !

(١) كانت فرنسية شهيرة ١٨١٧ — ١٧٦٦

قضينا ديزر وانا أيامنا الأولى بباريز في اقتناء الأثاث والتحف
لتجميل منزلنا وكنتُ قليل الغاية به عند ما اُقتُ فيه وحيداً ..
كذلك ذهبت مع ديزر الى محل الحياطة الذي كانت تعمل
فيه من قبل لتجهيز ثياب الربيع ..

وقد استقبلها هناك رفيقاتها في بهجة وسرور غير مصطنعين
لأن هؤلاء الغتيات العاملات هنّ أطيب الناس قلباً فلا يحسدن
رفيقاتهنّ اللواتي ساعدهنّ الحظّ ، كما هو الحال في الأوساط العليا ..
وكانت ديزر تسألني رأبي في كل ثوب يعرضونه عليها ، ولما
كثرت أسئلتها قلتُ لها صاحكاً : روجي عن نفسك يا عزيزتي فان
كل ثوب ترتدنيه يصبح بك جميلاً ..

ثم اخذنا نقوم بسيارتى ذات المقعدين ، برحلات شيقة في
ضواحي باريز التي ايقظها الربيع من سباتها العميق ، فما أجمل منظر
ذلك البعث في الطبيعة ، حينما تشاهد السحاب في السماء يخلع عنه
فروة الشتاء ، وتقاحي الخصرة وهي تتسلق غصون الشجر ، وتنظر
الى الأزاهير وقد تفتّحت أكمها تحيى بفجرها الدسام : الضوء ،
الشمس ، الربيع ، الحياة !..

فكم مرة تنزّهنا في قصور فرساي وحدائقها الشاهقة حيث عاش
ملوك فرنسا الفخام على مسارح شديدة بالفد- ليلة وليلة لما أقاموا من
أعياد وأفراح لم ير الدهر مثلها في الترف واللهو والمجون ..
وكان يخيل إلينا لدى طوافنا بتلك الأماكن كأننا سوف لنتقى
بسكانها النبلاء الذين عزّ عليهم مفادرة قصورهم وظلمت أشباحهم
تلازمها ..

سألتُ دير لدى احتيازنا أحد دهاليز القصر :
ما تصنعين يا عزيزتي لو تقابلنا الآن وحدها لوحه بالمعبد دور^(١)
في موكب من اتباعها ودمائها ؟
فأجابت دير : يكون حميلاً يارينا ! فلك المرأة كانت لاشك
ساحرة حتى أطاقت المملكة اسرافها الذي ستب سفوط أخيه اسرة
مالكة في أوروبا في ذلك العصر .

وكذلك ذهنا الى قصر « فونتنبلو » الجميل الذي : اعد صعد :
« النسر » وسقوطه إذ هناك تنزل نابليون عن عرش فرسا .

سنة ١٨١٤ ، ولكن سكب ذلك الرجل العظيم لم تكن مما تحزن له ديزر
وفد كانت تؤاخذة على طلافه من زوجته الأولى جوزفين - التي
هي من بنات الشعب - ليصاهر آل هسبورج ! .

وقد صر فوتنبلو خفيف الظل على الطراز اللطيف المعروف
بالـ بسانس ، ولم لا يكون كذلك وقد تبيده عاهل بسيط مرح
يحب الحياة ويفدّر مسراتها وملاهيها ذلك هو الملك فرنسوى
الأول .. وعلى عين القصر حوض كبير مملوء بالماء كانت ديزر تقصده
حبما تذهب لزيارة القصر لتلقى فتاتاً من الخبر إلى السمك الكبير
الملون الذى يسبح فيه .

كذلك كان يروقنا السير فى غابة فوتنبلو العظيمة تحت ظلال
أشجارها الباسقة ..

وطالما ذهبنا فى الصباح إلى غابة بولونيا حيث كنا نمتطى
جياذا ونمرح فى ظلال أشجارها الوارقة ، وقد علمت ديزر ركوب
الحيل ، وعندى أنه ليس ألطف منظرأ من امرأة على صهوة حواد ..
ثم كنا نذهب لتناول « الأبرتيف » فى « الأرمنفيل » حيث

تقابل بعض الأصدقاء، لأنني كنتُ أتجنّب الاختلاط بالناس رياء
التفرد بدنيرو ونظراتها الفاتنة واتساماتها الساحرة ، وقد كنتُ أعاز
عليها حتى من مجرد نظر العير اليها ، ولم وددت وقتئذٍ أن أكون
شرقياً حتى أستطيع أن أرغم دينز على الاحتجاب !

وكنْتُ أفكر أحيانا — وأنا جالس على اهرام دينز
أفكاراً صيدانية سادجة ، مثلاً : أن يكون — دينز وأنا
عصفورين يتناحيان على عصن شجرة وارفة ناسقة حتى لا تقع عين
انسان عليهما ، وأن تكون هذه الشجرة في عابة عبدة جداً ، مفقودة
في مجاهل الهند أو الصين !

وكنْتُ إذا ذكرتُ مثل هذه الافكار لدينر ضحكتُ وقبّلتني
وهي تقول :

أنت لاشك مفتون بي يا عريزي رينان !
لقد كنتُ أحب دينز حقاً ، كنتُ أحبها عدد مافي السماء
من النجم !

رب ! ما هو الحب ؟ وما هذا السلطان الذي له على الناس ؟

أمر مرض ؟ كلا ، بل هو السحر الذى يجعل النفس مسيرة
خاضعة لسلطان خفى قايس ، ولكنه مع هذا ممتع لذيد . . .

ولكم أعجبتُ من أحل ذلك محكمة آبائنا الأقدمين الذين كانوا
يعالجون الحب بالرُّقى والتعاويد . .

ولكن أكانت ديزر تحمى ؟ أحل ، فان نظراتها لى كانت
مقيص رقة وحنانا . .

ولكن أكان حبها لى يماثل حبى لها ؟ كلا ، ولقد كان هذا
الأمر مما تحزن له نفسى . .

كم وددتُ أن يكون حبها مماثلا لحبى ، بل أن تكون روحى
شقيقة لروحها اذ يؤكد ^(١) لامارتين أن كل روح فى الوجود لها شقيقة
لا بد من ملاقاتها والامتزاج بها عاجلا أو آجلا .

ثم كنتُ أعود فأراجع نفسى وأقول :

ما هذا الهوس يا ريدان أنك كنت من قبل تدفع حياتك ثمنا
لابتسامة من ديزر والآن ها هى بين ذراعيك ولست قانعا ؟ احمد الله
وأشكره على ما أنت فيه من نعمة !

(١) شاعر وجداني فرنسى كبير .

وقد ذهبْتُ بدiniz كذلك لمشاهدة سباق الخيل في « أوتوي »
و « لونشان » ، ولكنها اهتمت بمشاهدة ملابس السيدات المتأقات
اللواتي كنا هناك لا لسبب سوى عرض ثيابهن . . أ أكثر من
اهتمامها بالمضمار . . .



قضينا كذلك عدة أيام جميلة في « دوفيل » عروس
« النورماندى » - حيث أمواج « المانش » الشائر تتخبط حيالنا
على الرمال كأن جنا يطاردها وهى تتلهم النجاة منه . .
ولم تسكن « دوفيل » حين قدومنا اليها غاصه بالزوار لأن فصل
الصيف كان في بدايته ، لذلك نزلنا فى فندق بسيط لرجل ثرثار
مقدم فى السن كان يسلينا بأرائه الفلسفية عن الحياة . .
وفى ذات يوم كنا نتناول طعام العشاء على افراد - دينز وأنا -
بالفندق ، وكانت فى تلك الليلة معتلة المزاج حتى أنى لما قدمتُ اليها
قدحا من النيزد الأبيض المعتق رفضته ، فلما رآها صاحب الفندق
تفعل ذلك ، وكان قد أقبل يحينا ، صاح بها قائلاً : اشربى ، اشربى

يا صغيرتى هذا هو الاكسير الذى يردّ الى المرء سروره وسعادته ..
 ما للشباب وللحزن ؟ اثربى ، إن الشباب قد خلق للمرح والسرور !
 صدّقينى يا صغيرتى ليس فى الدنيا ما يعادل فنة الشباب فى عمر
 الانسان . لقد كنتُ - أنا كذلك - شانا مثلك ، وقد أُحببتُ
 وأُحببت ولستى لم أقدر السعادة التى كنتُ فيها - حق قدرها -
 الا بعد أن فقدتها ، عند ما ايمعت ناصيتى وأدركتنى الشيخوخة
 المفزعة .. فقاطعت دنيز قائلة بابتسامة حلوة : ولكن الشيخوخة ليست
 على ما تزعم من الرداءة فان المرء يدرك فيها صفاء النفس ، وراحة البال
 والقلب .. فقال الشيخ : كلا يا صغيرتى هذا ما يزعمه الخيالون ،
 ولكن الحقيقة أن الشيخوخة هى الحياة مريرة ممسوخة ، هى أن
 ترى الناس يخوضون غمار الذات ، وأنت حيالها كالمقعد ! هى أن
 تُقدم لك كأس النشوة فلا تمالك الشرب منها اذ يداك لا تقويان
 على حملها من رعدة السن ! هى أن يهتف بك ملاك الحب يدعوك
 للذة الكبرى فلا تصفى له وقد ثقل سمعك ! هى أن تنادى حبيبك
 فينفر من صوتك المبحوح كما ينفر العصفور لصوت الطير الضائر ! ..
 وكان الرجل كلما استرسل فى حديثه ، زاد حماسةً ، وانقلب صوته

الى نبرة محزنة ، ثم نظرت اليه فاذا بعينه أغرورقتا بالدموع . فقلت له ضاحكا : إلك تبسكى يا صديقى ، هلا اختسب هذا الكأس ، وقد ناولته قدحا من زُحاجة البئذ فأفرغه فى فمه وهو يقول : ماذا تريد ؟ أنها لذكري شجيرة . . .

تأثرت دينيز من حديث الرجل واعتراها قليل من الغم فقعدنا الى الكازينو فى تلك الليلة حتى أسرى عنها ، ثم دخلنا فاعة اللعب حيث جلسنا دينيز الى مقعد على إحدى موائد « البكرا » الخصرء ، ووففت وراءها لأرشدتها إذ كانت لا تفهم جيدا هذه اللعبة . . . وقد كسبت دينيز فى هذا المساء مبلغا كبيرا من المال ، وكانت كلما ربحت ضحكت ضحكا عاليا . .

وقد كان حظها عظيما حتى أن « اليد » ظلت تلازمها تسع مرات متتالية . .

أما أنا فقد أطرقت من أجل ذلك إذ تذكرت القول الشائع :
« سعيد فى اللعب ، تعيس فى الحب . . »

وفى ذات ليلة - لدى عودتنا الى باريز - رأينا أن نفنم

الراحة المنزلية فاذا بالعاملات زميلات دنيير في محل الخياطة ، يفاجئتنا
بالغارة على الدار ، ثم أقبلن على الفنوغراف وأخذن يرقصن على نغماته ،
وقد قدمت اليهن دنيير الحلوى والبورتو . وقد كان جميلاً حقاً
منظر أولئك الفتيات الحسان وهن على هذه الحال من الغبطة والسرور
يعصن شباباً ودمحة !

بعد ذلك أخذن في الطواف بحجر الدار يقلبن تحفها ، كأن
المسكان «سالة مزاد» ، كذلك هجمن على غرفة دنيير ، ولم يغادرنها
إلا بعد أن حملت كل واحدة منهن تذكراً .

وفي ليلة أخرى كنا نتعشى في غابة بولونيا ، وكان الطقس جميلاً
ومطر الربيع يملأ الجو عبيراً ، وقطرات الماء وهي معالقة كالدر
المنثور على الأشجار تكسوها هجة وزواء .
ولما انتهينا من طعامنا ، سألت دنيير :

هل لك في زيارة بعض المراقص ؟

نبدأ بالحى « اللاتينى » أولاً . ثم « مونپرياس » ، وبعد ذلك
تقصد حى « مونمارتر » العجوز .

فأجبتها مغتبطاً ، إذ لم يكن لدى أحب من أن أحقق كل
 رغبة لديز :

ان رغباتك يا مولاتي هلى أوامر لعبدك المخلص المطيع ،
 ثم تناولت يدها فقبلتها على الطريقة المسرحية - فى خشوع واحترام !
 ولما بلغنا الحى اللاتنى ، فكرنا فى زيارة السيدة المحوز
 صاحبة الفندق الذى عرفت فيه ديزر ، وكنا مقصّرين فى حقها إذ لم
 نزرها منذ عودتنا إلى باريز ، ألم يكن واجباً على أن أحيج إلى ذلك
 المسكان المقدس الذى حصلت فيه على سعادتي المنشودة !

ولكننا عدلنا فى اللحظة الأخيرة عن هذه الزيارة خوفاً مما كان
 ينتظرنا من وابل عتاب هذه السيدة الطيبة والثرثرة بحكم السن !

قصداً بعد ذلك المقهى الصنى ، ولكن مقامنا فيه لم يكن
 طويلاً اذا كان الزوّار قليلين ، ولم ينزل إلى حلبة الرقص إلا عدد
 ضئيل من الطلبة ، فكان الاركستر من أحل ذلك يعزف ببطء
 وبدون اكتراث .

ثم قصدنا مونپارناس حيث دخلنا فى «مقهى السود» ، وكان

مزدحمًا بكبار الزوّار حتى لكنت تشاهد سرباً من السيارات الفخمة واقفاً أمام المدخل .

وقد لاحظنا أن الأغلبية العظمى من الزوّار كانت من البيض الذين بلغ بهم سأمهم من لونهم أنهم جاءوا الى هنا يفسدون مودة السود .

كم كان عجباً منظر السيدة الباريزية المتأنقة وهي بين أحضان رجل أسود ، تراقصه في لذة وابتهاج .

أما المقهى نفسه فكان مزدان الجنبات بالنخيل والخيزران . كما أن حلبة الرقص كانت محاطة بأكاليل من الورق الملون ، وكان أفراد الاركستر من الجنس الأسود أيضاً يعزفون بالأنغام « البربرية » « الفكس » و « البلوز » .

وكم ضحكنا في تلك الليلة من مشاهدة أولئك الأورودين الذين خلعوا عنهم مختارين ، ثوب المدينة في تلك الليلة ليولولوا ويضخبوا كالبربر ، ليزيدوا الحفلة جلبة وجنوناً .

لدى انصرافنا من مقهى السود قصدنا — مشياً على الأقدام — المقهى المشهور « بالمصفور الأزرق » ، وهو لا يبعد عنه كثيراً .

وهذا المقهى مبنى على آخر طراز حيث يتحلى الهوس الفنى الحديث إذ تشاهد هنا وهناك رسوم نظريات هندسية وعمليات جبر تحلى سقوف المرقص وجدراؤه ، كذلك ترى به صوراً مذهشة كصورة ملائكة بأجنحة طيارات ، أو جسم إنسان رأسه فى أسفله الخ .. ومعظم زوار المرقص من طبقة الأدياء والعلاسة وأهل الفن .. كنت تشاهد به أيضاً المنظر البوهيمية الحقيقية لما كان عليه القوم من نشوة ومرح ، وعدم الاكتراث بالملابس ، كما كنت تلاحظ الشوارب والذقون المقصوفة على أشكال عريية مضحكة .. وقد صدق الشاعر الكبير فيكتور هوغو فى قوله : « الرجال أطفال كبار » .

وكنتم تشاهد فى المرقص بعض مناظر الحب الشاذ تصور ما كانت عليه صادوم وعمورة؟ .. وقد ضحكنا كثيراً من مشاهدة هذه المناظر الغريبة وببرسه خاص حينما أخذ هذا الجمع المشكل يرقص الرقصات البربرية ، وقد حمل إلينا وقتئذ أننا فى ليلة « فليبورجس ^(١) » ..

(١) ترعم الحرافة الألمانية أن الجان والسحرة عجمون فى رؤوس الحال . وفى الفديسه فليبورجس للرقص واللهو . وقد حلدحتنى هذه الأسطورة فى رواية فوست الشهيرة .

ثم قصدنا حتى مونتارتر العجوز حيث الملاهى ذات الطابع
الفرنسى المحض ، علماً بأن مونتارناس والحى اللاتنى يغمرها السياح
والأجانب الخ ..

وكنا نسمع أثناء سيرنا فى سوارع مونتارتر المتصاعدة أصوات
الموسيقى المختلفة : ضحكة « الجاز » ، أنات « التانجو » .. المنبعثة من
المقاهى القائمة على حانئ الطريق ..

ذهبنا الى مقهى « الفأر » فى الجهة المرتفعة من مونتارتر قرب
كنيسة سا كركور ، فى طريق ضيق مظلم ، وقد روعى فى تشييده
أن يشابه خمارة قديمة ..

أما الأثاث فكان غريباً كذلك إذ كانت المسكان مضاء
بمصاييح الزيت القديمة ، وكانت مقاعده قطعاً مربعة من الخشب ،
وموائده برامبل صغيرة ، وقد قدّم لنا الخادم « پورتو » أحمر لذيذاً ،
وكانت فى السكس كرزة شهية شوقتنا الى طلب دور آخر من
النبذ ..

ثم بدأ رحل يرتدى لباس الأوباش يعنى -- بصوت لا بأس
به --- انشودة فرنسية قديمة ، ثم تبعته امرأة تلبس ثوبا حقيرا

أسودَ فغنت الأغنية الفرنسية المؤثرة « ماتعطين أيتها الحسناء ليردّ عليك حبيبك ؟ أعطى فرساي ، باريز ، سان دني ^(١) أعطى أبراج النوتردام ^(٢) وحرس (كنيسة) قريتي »

وكانت نبرات صوت هذه المغنية شجبة حرة يرسلها لائلك قلب كلّم ذاق مرارة الحب .. وما كادت تنتهي حتى ابتلت عيناها بالدموع ..

تأثرت دينز اسماعها هذه الانشودة ، ولبؤس المغنية ونازلتها مئة فرك ، ثم نهضت مقطعة الوجه وهي تقول .

اننى متعبة ، هيا نعود الى الدار يارينان لقد نجونا كثيرا هذه الليلة .

ثم دفعنا حسابنا وانصرفنا على الفور .

في اليوم التالى لتلك السهرة التى زربا أثناءها . فهاى باريز الليلة ، لم تحصر دينز الى غرفة الطعام كعادتها لتناول الفطور وقد

(١) حى باريزى .

(٢) كنيسة شهيرة بباريز .

ظننتُ أنها لا تزال نائمة فذهبتُ لاولقظها ولكن لشد ما كانت دهشتي عظيمة اذ وجدتُها منتبهة شاحبة الوجه ، محمّرة العينين ، فسألتها ادا كانت قد بكت فأجابت بالايجاب قائلة ان صداعا شديدا قد سلب لها ذلك ، فقلتُ هل أُحضر الطبيب ، فابتسمت وقالت : شكرآ لا حاجة لى بطبيب وها انا اُحسن الآن انى أحسن حالا ، فاذا استرحتُ قليلا زال كل شىء ! .

فقبلتها فى جنبها وعادرتُ حجرتها .. منذ ذلك اليوم - لشقائى العظيم - تغير طبع دينر فحلّ الحزن فى هيكلمها الدقيق ، وفارقت نغرها تلك الابتسامة الحلوه التى كانت تستقبلنى بها صباح كل يوم فكانت مصدرآ لأمالى وسببآ لتعاقبى بالحياة الدنيا السخيفة ، ولكن دينر كانت مع ذلك تتظاهر بالسرور كلما وُحِدتُ معها حتى لا تشعرنى بتغييرها فاذا خلت إلى نفسها ابتأسَت ونطرت للفضاء نظرة شقاء ويأس . وكنتُ اذا فاحاتها وهى على هذه الحالة ارتبكتُ كمن يفاجأ فى ارتكاب جريمة ! .

ولم تعد لها رغبة فى الخروج بل كانت تقضى وقتها فى مطالعة



القصص تقرأها بدون اهتمام ، وكنتُ اذا سألتها أحياناً من باب المزاح عن موضوع قصّتها ، تعثرت معتذرة بالنسيان ..

ثم أخذت تفقد من ورنها بعد أن فقدت شهية الأكل ، وكنت مع ذلك أرغمها على تناول الطعام كالأطفال ، تارة بالحيلة وطوراً بالتوسّل والرجاء ..

في هذه الحال اضطررتُ أن أحضر لها الأطباء لفحصها رغم معارضتها ، ففعلوا ولم يجدوا في الحسم علّة ما ، وانما أجمعوا على أن الذي تشكو منه ديز هو ضعف عام ، وان تغيير الهواء وتبديل البيئة هو الدواء .

وقد قطعتُ كل علاقة جنسية بديز منذ ذلك الحين حتى لا اضيقها ، وكنتُ أشعر من نظراتها انها شاكرة لى ذلك .

وكنتُ أفكّر الساعات الطويلة في سبب تغيير ديز لأني كنتُ لا اصدّق بطبيعة الحال ان الضعف يفعل كل ذلك التبديل في مثل هذه الفترة الوحيزة ..

ربّ ! كم نَقَمْتُ على الوجود وقتشذ وحققتُ على هذه الدنيا
 القاسية التي لم يكفها ما تعذّبته من قبل حتى تصرّ بنى ضربة جديدة !
 ما كان السبب في تغيّر دينر ؟ أيكون السبب بعث حبها القديم ؟
 ربّ ! لقد صعقتني هذه الفكرة عند ما خطرت ببالي ، كما يصعق
 الكرسي الكهربائي ، الجاني في أمريكا ..

أترى جاءتها رسالة من ذلك الرجل البغيض ؟ كلا ! فاني
 تأكدت عكس ذلك من الخدم ، فضلا عن أن الصدفة شاءت أن
 ساعى البريد لم يحضر في ذلك اليوم الذي بدأ فيه تغيّر دينر ..

أم شاهدته دينر في مقهى من المقاهي التي زرناها تلك الليلة
 المشؤومة ؟ كلا أيضاً ! فان عينيّ تراقبان دينر على الدوام في نظراتها ،
 كما يُراقب الشمس ، زهر عباد الشمس !

وكما سألتُ دينر عن سبب تغيّرها تعلّلت بضعف الصحة ،
 وكنت ألاحظ استياءها من مثل هذه الأسئلة ..

ربّ ! كم عذّبتني الشك في تلك الأيام المبرّحة !

* * *

سافرنا بعد ذلك الى مونترو بسويسرا لعل دنيز تنتعش هناك
بتبديل الهواء كما أشار بذلك الأطباء ، وقد اخترت هذا المصيف لحسن
موقعه على بحيرة « لي مان » الشهيرة ..

ولما أخبرت دنيز بهذا الاختيار بدا عليها الاغبتاب فاستبشرت
خيراً من سرورها بهذا الاختيار وعلمت النفس بقرب تقشع تلك
السحابة السوداء التي ظللت سماء سعادتنا زماناً ..

* * *

ها نحن أولاء يعدو بنا القطار من باريز الى مونترو ، يترجح بنا
اختلاط العجل والقضبان وكأنه حرس السياط ..

وعبثاً نحاول أن نتبين من النافذة المناظر التي تختلف علينا إذ أن
الضباب المتكاثف والمطر الهاطل يحولان بيننا وبين هذه الرغبة .. ثم
ما لبث الجو أن تغير فأنجلي الضباب وتفشّت السحاب ، على أن
مفاجآت الجو في الصيف أمر مألوف كما نعرف ثم مررنا بمدينة

لوزان ، ولما بلغنا ساحل البحيرة بدت هذه بالمنظر الجميل ، وإذا برائحة تنذية تعبق في الجو ترسلها الخائل والرياح التي يجتازها قطارنا في طريقه إلى مونترو . .

أما مصيف « مونترو » فهو : بعض الفنادق الكبيرة والقيلات الجميلة المشيَّدة حيال البحيرة ، تحوطها الحدائق المنسَّقة على أحدث طراز . .

وقد نزلنا بفندق « مونترو پلاس » المطلّ على هذه البحيرة بالمنظر الضامى كما أن جبال « السفوى » الفخمة تطلّ عليه . . وما أعظم تلك الجبال ، وما أروع تيجان الثلج التي تُحلى رؤوسها ! وقد ابتهجت دنيز لهذه المناظر الطبيعية الجميلة ولسكن سرورها كان دائما قصيرا كفترات سطوع الشمس في أيام الشتاء . . وكنا نقوم برحلات جميلة بهذه البحيرة المحاطة بالجَنَات والخائِل ، وان بين هذه المناظر الطبيعية الساحرة ما هو جميل حتى « ان المرء ليوذ أن يحتضنه » على حد تعبير فلو بير ^(١) . .

(١) جوستاف فلو بير قصصى فرسى شهير .

وقد تعرّفنا إلى بعض نزلاء الفندق ، وكانت مجالسهم تسليّ
دينز ، من أجل ذلك كنت أجتهد في التعرف بالناس ، أنا الذي
كنت أبتجنّبهم من قبل كي أنفرد بها . .

كانت جماعتنا ثلاثة أولهم : سيدة انجليزية عجوز طافت مرتين
حول الأرض وقد جاءت إلى سويسرا للراحة قبل القيام بالرحلة الثالثة
وكانت تزعم ان هذه ربما تكون الرحلة الأخيرة لها . . وكانت أديبة
مطّاعة لها معرفة واسعة بالعالم إذ استطاعت برحلاتها أن تدرس الشعوب
وأحوالها في مكانها . وكانت تقول أنها اختارت بحيرة « ليمان »
للاقامة متأثرة بالشاعرين العظيمين بيرون ولامارتين اللذين أشادا
بذكر البحيرة فخلدت بشعرهما كما خلد شعرهما بها . .

وكانت تترنّم دائما في لهجة انجليزية مضحكة بهذه الأبيات الجميلة
التي يقولها لامارتين للبحيرة ، وذكر فيها اللورد بيرون ، ذلك الشاعر
الشارد :

« وقع بيرون على شاطئك ينزف ويموت كالجاهد الذي أضناه

القتال . . يقولون ان صوته فى صرخاتك وعينه فى صاعقتك وذلك
عند ما تثير الرياح سوجك الأرجوانى »

وثانى الجماعة ، نبيل ايطالى وريث للقب كونت وكان منفياً من
بلاده لأنه من خصوم النظام الحاضر فى ايطاليا ، والرجل فى الخمسين
من عمره ، تظهر عليه آثار النعمة — التى نشأ فيها — وما اشتدلت
عليه كذلك تقاطيع وجهه من الدقة . . وكان الكونب يقضى وفنه
فى سويسرا فى التآمر مع بعض الزعماء الايطاليين المدعدين منله من
الوطن ، ولكن كان يفعل ذلك فى احتراس شديد حتى لا يرض
للخطر ، أملا كه الواسعة فى ايطاليا !

وكان الرجل مولعا بفن التصوير الزيتى ، ملماً بقواعده كأحد
أساتذة مدرسة الفنون الجميلة . .

وكان يصور بعض المناظر الطبيعية ، وقد أرانا الصور التى نقلها
عن البحيرة فكانت دليلا ساطعا على البعد بين العلم والعمل ! . .

وكان الكونت يجيد الفرنسية وينطقها نطقا فصيحاً حتى أنه لم

يكن يتعثر كمعظم مواطنيه في نطق حرف (الج) التي ينطقونها (ز)..
 وكانت للكونت آراء شاذة في تقدير الجمال فكان يزعم أنه
 يكفيه للتعليق بامرأة حسن زينة رأسها ، وبأخرى نبرات صوتها
 الرقيقة وبثالثة نعومة يدها ، وبرابعة نظراتها العميقة ، وبخامسة
 حاحبها الدقيق ، وبسادسة صورتها الجانبية . . .

وقد سأله دنيز عما يعجبه في دنير منها ، فصاح قائلاً :

أنت يا سيدتى الجمال بعينه ، أنت جنية بيجاليون ^(١) ! .

وثالث الجماعة سيدة فرنسية فى الحاققة الرابعة من عمرها قدمت
 إلى مونترولتخى بها دور النقاهاة من مرض عضال ألزمها الفراش
 الأشهر الطويلة ، وهى زوجة أحد كبار موظفى الحكومة البلغارىة ،
 وكانت تذكر لنا على الدوام وطنها الثانى ، منزلها فى صوفيا وزوجها
 الذى كانت تحبه حباً جماً ، وكنت أغبطها على هذه السعادة ، وهذا

(١) نزعى الأساطير أن بيجاليون كان مثالا نارعا فى قرص ، وقد صنع تمثالا

ديماً لامرأة ما لك ان اتتن به ، ثم دت الحياة فى التمثال متزوج منه .

الحب الذين حُرمت منهما . وكان زوجها قادماً إلى مونترو بعد ثلاثة أسابيع - كما تقول - ليصحبها في عودتها إلى صوفيا .

وكنا نقوم أحيانا ببعض الرحلات مع هذه الجماعة فنذهب تارة الى جنيف لشراء الساعات السويسرية الشهيرة التي كنا نجدها هناك أغلى ثمناً منها في باريز . وطواراً نذهب مساء الى كازينو افيان القائم على تلك البحيرة فنقصي الليل في مشاهدة الرقص واللعب .

ذهبنا مرة أخرى إلى زيارة قصر « شيون » وهو قريب من مونترو ، قائم على البحيرة كذلك ، وكان سجناً « لبرسقار » من أبطال الاستقلال السويسري . وقد سجن في هذا القصر بأمر الدوق دي سافوى ، وكنا جميعاً معجبين ببطولة الشعب السويسري الذي دافع عن حريته بشجاعة واقدام ، وكان أكثرنا حماساً ، السيدة الأنجليزية التي كانت تغبط السويسريين لما احتقمتهم الله من اقدام وطبيعة جميلة ، وكانت تذكر هذه المناسبة قول لامارتين عن المواطن السويسري : « ان له روح الوطني في قلب شاعر »

ولكن صديقنا الايطالي كان يخالف هذا الرأي فيقول أن

السويسرى تنقصه الرقة ، وذلك لأن الشعب السويسرى لم يكن يوما من الأيام شعباً أرسقراطيا ، بل كان دائما نفعياً بحكم موقعه الجغرافى ! .
وكنق أشعر أن دنيز ترناح لوجودها بين تلك الجماعة حتى لا أنفرد بها ، لأن معاشرة الناس فى مثل هذه الظروف مسعفة للقلوب الدامية ..

قررنا ذات يوم تسلق الجبل المعروف «بالدان دى مدى» المطل على مونترى ، فذهبت مبكراً فى صباح ذلك اليوم الى حجرة دنيز لأعطيها فوجدتها حالسة الى مقعد فى شرفة الحجرة فاستعجلتها اللبس حتى لا ننقطع عن جماعةنا الذين كانوا ينتظروننا فى ردهة الفندق .. فظرت الى دنيز نظرة لن أنساها ما حييت لما اشتملت عليه من الرقة والحنان وقالت : أنى بردت ليلة أمس فيحسن بى ملازمة الفندق ، فقلت لها : إذن سأبقى معك ، والآن سأنزل لأعذر لأصدقائنا فابتسمت وقالت : كلا ! بل يجب أن ترافقهم كما تقضى به اللياقة ، أما أنا فسامضى الوقت فى مطالعة هذه القصة ، وأرتنى فى يدها كتاباً لمراسل بريشو .. فلم ألح عليها وانصرفت ..

وعند ما عدنا في المساء الى الفندق ، بحثت عن دنيّر في شرفة
 الفندق الكبرى حيث اعتادت الجلوس فلم أجدها ، فسعدت الى
 حجرتها عساها تكون آخذة في الاستعداد للعشاء .. طرقتُ الباب فلم
 يجبني أحد فدفعته ودخلت فاذا الحجرة خالية وليس بها شيء من
 متاعها ، ثم ما لبث نظري أن وقع على رسالة منها باسمي موضوعة
 على مائدة التواليت فتناولتها في اضطراب شديد إذ هي رسالة الفراق
 « الكلاسيك » لا شك ، ففحصتُ الغلاف وتلوتُ :

« عزيزي رينان

نعم وقع الأمر الفظيع ، الأمر الذي كنت تحناه منذ لقائنا
 بخديجة الكسمبوري ، نعم لقد بُعِثَ حبي القديم ، بعُتِبَ تلامذتي المراء
 البائسة التي غنّت في متهى « انمار » بمونارات تلك الأغنية المرسلة
 « ما تعطيني أيتها الحسنة ليردّ عليك حبيبك ، أعطى قرسني ،
 باريز ، سان دني الخ . » نعم ان نبرات صوت هذه المغنية الشجية
 نزلت في تلك الليلة الى أعماق قلبي فأدمت ثانية التئام جرحه
 الحديث ، ساحني يارينان على ما اسببه لك من حزن جديد . ومع

ذلك لقد كنت صديقة في حبي لك حتى تلك الليلة المشؤومة التي
نُعتُ فيها حبي القديم . فعلتُ كل ما في استطاعتي لأنسى ذلك
الرحل والكمي أخفقت . . كم قد تعذبت من أجل ذلك ، ومن أجل
ما سببته لك أمت من الألم ، أنت أنمل من عرفتُ من الرجال خلقاً ،
لن أنسى لك أياديك مدى حياتي وعنايتك بي وبوجه خاص أشكر
لك التسامح وحفظك السر حينما شعرتُ بالحقيقة المرة . .

سامحني يار ينان لن أستطيع أن أقاوم بعد ، سأرحل الى انجلترا
حيث وجدت وظيفة رفيقة لاحدى السيدات النزيلات . . كنتُ
فكرتُ في دخول الدير ولكنى عدلتُ عن ذلك لأن حياة الدير
الهادئة الساكنة لا تساعد المرء ابداً على نسيان همومه وأشجانه . .
أرجو أن لا تحاول رؤيتي . . سامحني يار ينان وفي دمة الله ! دينز ،
لذلك اذن كانت، دينز ترمقني في ذلك اليوم بعين العطف
والحنان !

وقد ساءت في نفس الليلة الى باريز حتى أهرب من الاستئالة
المؤلة التي سوف يوجهها اليّ أصدقائنا عن تعيّن دينز ! وكادتُ

أقتل نفسي في القطار اذ كان صوت احتكاك القضبان يصايقني وكأنه يصبح بي « دنير ، دنيز ، دنير . . . » حاولت ان التقي بنفسى من النافذة ولكنى حذتُ مع الأسف ، لذلك أعجب من أمر أولئك الذين يقولون ان الانتحار ضرب من الخور !

ثم سكت رينان ملياً وأخذ ينظر من النافذة الى السماء نظرة حائرة كأنما كان يبحث فى زرقها عن دنير وبعد لحظة قطعناها فى سكوت عميق قال بصوت خافت : ها هى قصتى ! وكانت وجهه سائحاً فى الدموع . .

قصيتُ بعد ذلك وقتى كله فى باريز بصحبة رينان ، وكنت أحي مثله - لكى الهيمه - حياة المرح المستمرّة المتعبة . . ثم وردنى ذات يوم تلغراف من أسرتى « بنيس » تدعوى لمقابلتها فيها ، وكانت قدمتها من مصر ، فعرضتُ على رينان أن يصحبنى فى هذه الرحلة ، فأبى وقال ان ننس مدينة هادئة لا توافق أعصابه المتهيجة خصوصاً أن فصل الريفيرا صاحب كان وقتئذ لم يبدأ بعد . .

ثم سافرتُ بعد أن وعدته أن أعود اليه قريباً . .

وفيا أنا أطلع صحف الصباح ذات يوم في نيس وقع نظري فجأة على هذا الخبر الصاعق « وَجَدَ الشَّابَّ الرَّشِيقَ رَيْنَانَ .. المعروف جيداً في أوساط اللهو الباريزية ، ومقاهيها الليلية ، ميتاً هذا الصباح في سرير نومه وكان قد تناول خطأ كمية كبيرة من دواء منوم »
 فهل حق ما نشرته الصحيفة ؟ وهل أصدق أن صديقي رينان مات نتيجة خطئه ؟ ؟

كرمزاين هاني في نوفمبر سنة ١٩٣٢



